



خطب من ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـــزء الأوّل

65. التّحذير من الاغترار

18 ذو الحجة 1380هـ الموافق 2 جوان 1961م

الـحمد لله الّذي عليه نعتمد، وبه نستعين ومِن حوله وقوّتـه نستمدّ، وهـو الـموفّق لعبـاده، والـهادي كلّ إنسـان إلــى رشـاده، وأشـهد أن لا إلـه إلّا الله، يزيـل عنّا حُجُـب الظّلمـات، ويكشف لنا كلّ يوم عن دلائله البيّنـات، ليلفـت أنظارنـا إلــى دقـائق صـنعه، وآيـات قوّتـه، وحكمته فـي خلقه، وأشهد أنّ مـحمّدًا عبده ورسوله، الّذي أنقذ شـعبه مـن الغوايـة، وعرّفـه طريق الـحق والـهداية، صلوات الله وسلامه عليه، وعلــى آلـه وأصـحابه الّـذين استمسـكوا بدينهم، وصدّقوا بكتاب ربّـهم، وواصلوا نضالـهم حتّـى تفوّقـوا علــى جــميع خصـومهم، رضي الله عنهم، ومن سلك مسلكهم إلـى يوم الدّين.

أمّا بعد: فإنّ أخطاء الإنسان ونقائصه فـي هذه الـحياة تدلّ دائمًـا على ضعفه، واحتياجه إلــى طلب الـمعارف، وكثرة التّدريب وكسب التّجارب، وأنّ الانتباه لسـلوك هـذه الــمحاولات، وطرق أبواب التّكميل، والبعد عن أسباب النّقص، لا بدّ له فيها بعد ذلك من طرق باب أوسـع وأعظم، وهو طلب التّوفيق والـهداية من الـخالق -جلّ شـأنه-؛ حتّـى يسـتعين بـذلك علــى اجتياز الـمراحل الصّعبة التي تقف حجر عثرة فـي طريقه، وتنجلي أمامه حقائق الـدّين ومعـالم الـحياة.

وأنّ هذه الـمناهل العذبة الصّافية الّتي يريد الإنسان أن يغذّي بها عقله وروحه، ويجعلها نصب عينيه في كلّ لحظاته وأوقاته، هي كتاب الله وسنّة رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- حتّى يأمن من زلّات الحياة والانحراف، ومن نكد الدّنيا وشقاء الآخرة، كما قال الله ذلك في كتابه الكريم: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: 123]

أمّا الإعراض عن دين الله، ومخالفة نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم- فذلك أمر خطير على حياة الإنسان، سواء في عاجله وآجله، كما حذّر الله من ذلك: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63]

ولا يغترّ الإنسان بصحّته، وجاهه، وسعة عيشه وماله، أو امتداد حياته وعمره، حتّى تُسوّل نفسه سلوك سبل الغيّ واقتراف أنواع الآثام، ونسيان الواجب، ثمّ هو يعتمد بعد ذلك على حِلْم الله وعفوه؛ لأنّ هذا الغرور يزيد المرء بعدًا عن هدي الإسلام وطريقه، وخسرانا من جانب ربه، كما قال -جلّ شأنه-: {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: 99]

ومن العجب أن نرى الإنسان إذا عثر في أثناء مشيه، أو انزلقت رجله فوق قشرة لم يسبق إليها انتباهه، نجده يلتفت إلى يمينه وشماله؛ ليعرف سبب الخطأ، ولِيحذرَ مرّة أخرى من أن يتكرّر له ذلك، ولكنّنا نجده يخطئ كثيرًا في أمور دينه، وفي معاملته مع غيره، ولم يُعِرْ ذلك اهتمامًا لإصلاح ذاك الخطأ مع نفسه، حتّى يعتدل في سلوكه، وتستقيم حياته، ويفوز برضا الله في كلتا الحياتين.